

روح المعاني

ذلك من أعظم معجزاته E واختلف في الجواب ف قيل : المفهوم من الآية نفي علمه E إذ ذاك بالغيب المفيد لجلب المنافع ودفع المضار التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وما يعلمه صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم من الغيوب ليس من ذلك النوع وعدم العلم به مما لا يطعن في منصبه الجليل E .

وقد أخرج مسلم عن أنس وعائشة رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم مر يقوم يلحقون فقال : E لو لم تفعلوا لصلح فلم يفعلوا فخرج شيئا فمر بهم صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم فقال : ما لفتحتم قالوا : قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي رواية أخرى له أنه E قال حين ذكر له أنه صار شيئا : إن كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم وإن كان من أمر دينكم فإلي وقد عد عدم علمه صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم بأمر الدنيا كمالا في منصبه إذ الدنيا بأسرها لا شيء عند ربه .

وقيل : المراد نفي استمرار علمه E الغيب ومجيء كان للإستمرار شائع ويلاحظ الإستمرار أيضا في الإستكثار وعدم المس وقيل : المراد بالغيب وقت قيام الساعة لأن السؤال عنه وهو E لم يعلمه ولم يخبر به أصلا وحينئذ يفسر الخير والسوء بما يلائم ذلك كتعليم السائلين وعدم الطعن في أمر الرسالة من الكافرين وقيل : أل في الغيب للإستغراق وهو صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم لم يعلم كل غيب فإن من الغيب ما تفرد به الله تعالى به كعرفة كنه ذاته تبارك وتعالى وكعرفة وقت قيام الساعة على ما تدل عليه الآية .

وفي لباب التأويل للخازن في الجواب عن ذلك أنه يحتمل أن يكون هذا القول منه E على سبيل التواضع والأدب والمعنى لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله تعالى عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله تعالى على الغيب فلما أطلعه أخبر به أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله تعالى على أشياء من المغيبات ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم إنتهى وفيه تأمل وكلام بعض المحققين يشير إلى ترجيح الأول .

ومعنى قوله سبحانه : إن أنا إلا نذير وبشير على ذلك ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة وشأنني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة وإقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدر فيه لما مر من إبهامه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية وتقديم النذير لأن المقام مقام إنذار لقوم يؤمنون أي يصدقون بما جئت

به والجار إما متعلق بالوصفين جميعا والمؤمنون ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالتبشير وإما متعلق بالأخير متعلق الأول محذوف أي نذير للكافرين وحذف ليظهر اللسان منهم .
وأراد بعضهم من الكافرين المستمرين على الكفر ومن مقابلهم الذين يؤمنون في أي وقت كان وحينئذ في الآية ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم إستئناف لبيان ما يقتضي التوحيد الذي هو المقصد الأعظم وإيقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ أي هو سبحانه ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك أصلا من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام على ما نص عليه الجمهور وجعل منها